تصرفات سلبية

وإذا كان يسهب في وصف جمال البلاد والجوانب الإيجابية في سلوك أهلها ومعاملاتهم، فإنه لا يسكت عن إبراز الجوانب السلبية والعيوب في تصرفات بعض من تعامل معه أو ما رآه، فهو لم يسكت عن التكشف والتعري في أحد أنهار جاكرتا، وتحدث عن تصرف أحد مرافقيهما اللذين انتدبتهما الحكومة لذلك، «وكان معنا مرافقان يتكلمان العربية واحد من وزارة الشؤون الدينية، عالم فاضل أمين صادق، وآخر من وزارة الخارجية، رأيت الكثير من شره وضره، وتعلمت منه أن الكذب والاحتيال بضاعة موجودة في كل مكان، وأن الواحد ربما أساء بفعله إلى بلد بكامله، فقد كان يأخذ السيارة المخصصة لنا ويدعنا بلا ترجمان، نستأجر السيارات، ويأكل في المطعم على حسابنا، وهو يأخذ من الحكومة ما يدعي أنه صرفه علينا لأننا ضيوفها!!»[٢١]

الجودك

ويصف طعامهم السائد فيقول: «وهؤلاء يأكلون دائماً الرز المسلوق الذي يخلطونه بالفليفلة يعملونه كجرادق رمضان، والموز المشوي والمقلي والمطبوخ، والشاي البارد بلا سكر»[٢٢] . «وكنت كلما شكوت من هذا الطعام قالوا:ستذوق «الجودك» فتعرف مالذة الطعام الإندونيسي! فهو أفخر طعام في الدنيا.. فإذا بي أجد في فمي شوربة زيت الخروع بصبغة اليود! ولم أستطع أن أبتلع اللقمة.. فقلت: وا شوقاه إلى الشام وطعام الشام!»[٢٣] ولم يفته الحديث عن المساجد في جاكرتا وسعتها وجمالها[٢٤].

والحديث عن رحلات الشيخ علي الطنطاوي يطول بمقدار طول حديثه هو عن هذه الرحلات، والذي امتاز بدقة الوصف وكثرة التمثيل والإسهاب وكثرة الاستطراد، كما امتاز بأسلوبه الأدبي الرشيق الذي جعل رحلاته تتقدم على كثير من كتب الرحلات الحديثة التي اهتمت بالموضوعية أكثر من اهتمامها بالأسلوب. ■

الهوامش:

١- ذكريات ج ٨/١/٨، ط٢، ١٤٠٩/ ١٩٨٩م، دار المنارة، جدة.
٢- ذكريات ج١/٢٤١، نفسه.
٣- ذكريات ج٣/ ٢٤١ .
٤- ذكريات ج٥/١٣٣.
٥- ذكريات ج٥/١٧٧.
٦- ذكريات ج ٦/١٠٩.
٧- ذكريات ج ٧/٢٠٢.
٨- ذكريات ج٨/١٨١.
٩- ذكريات ج٣/٦٧.
١٠- ذكريات ج٣/٨٦.
١١- ذكريات ج٣/٥٧.
١٢- ذكريات ج٣/٧٤.
١٣- القريات: مدينة في شمال السعودية، الحدود الأردنية.
١٤- ذكريات.. ج٣/٨٢، نفسه.
١٥- ذكريات.. ج٣/١٣٨، نفسه.
١٦- كتاب: في أندونيسيا..صور من الشرق، ص ٩١، ط ٢، ١٤١٢هـ /١٩٩٢م، دار المنارة – جدة.
١٧- السابق، ص ١٦٣.
١٨ – السابق ، ص ٨٥.
١٩- السابق ، ص ٨٦.
٢٠- السابق، ص ٩٢.
٢١- السابق ، ٩٤.
٢٢- السابق، ص ٩٥.
٢٣- السابق ، ص ١٠٤.
٢٤- ذكريات.. ج٦/١٥٩.

مع حدو القافلة!

علي الطنطاوي - رحمه الله -

بقلم: محمد شلال الحناحنة
الأردن

أيها الراحل فينا من الوريد إلى الوريد، كيف نبكيك، وأنت أعمق من أن تحدوك قوافي الشعراء؟!

كيف نشدو لك أشواق الروح؟ فأي لغة شفيفة تراها تحيط بذكرياتك؟! كيف نحاور اليوم دمشق بكل ينابيعها المفعمة بدفء نبضك لتحنو عليك؟! أي تاريخ غدا قطوفاً دانية من صفاء أحاسيسك؟ أي تاريخ قرأناه معك عابقاً في حياة أبي بكر وأخبار عمر رضي الله عنهما؟ ترى أنى نحدثك وكل ما نسطره لن يفيض عن حديث أنفاسك؟!! أتموت واقفاً أبياً فقيهاً أديباً في الزمن الصعب، زمن التردي حين داهمنا ركام الخنوع والانكسار؟! أتموت شامخاً، وكنا نسألك حين تعز الأسئلة، حين نتوجس راجعين منحنين من ثقل المعصية؟! أتموت ونحن لم نزل نهدهد آهاتنا، نفر من نفحات الألم إلى : «نفحات الحرم» التي تداعب أزهار سطورك؟! من منا تراه سيهاتفك وأنت الذي هاتفت عروقنا اليابسة بأندى «هتاف المجد»؟! هل ترانا نشعل الجراح ثانية، وأنت الذي أشعلت جراحنا في «قصتنا مع اليهود» وأوغلت بنا في «صور من الشرق» الأسير؟ عم نتحدث إليك وأنت الذي أضأت حروفنا المتعبة في دمغ زيف الحضارة عبر «موقفنا من الحضارة الغربية»؟ هل من كلمات تتألق مع حدو القافلة أمام: «رجال من التاريخ» وأمام «عبد الرحمن بن عوف» أو «عبد الله بن المبارك»؟! وهل من باقات نقطفها إليك؟ ومن أي نافذة مشرعة سنأوي إلى رباك المزهرة وفينا كل هذا الأسى؟! ■